بن عبدالله بن رواحة الانصاري الحموي ومولده بساحل صقلية سنة ستين وخمسماية وتوفي سنة واربعين
وستماية في جباب التركمان المنزلة التي بين حلب وحماة وهو راكب على الجمل وكانت ولادته في مركب وموته على جمل
وكانت ولادة سيف الدولة المذكور بحلب اخر سنة ست وعشرين وخمسماية وتوفي بالقاهرة يوم الثلاثا
من شهر رمضان سنة تسع وتمانين وخمسماية رحمه الله تعالي والذروي بفتح الذال المعجمة والراء بعدها
واو وهذه النسبة الي ذروه وهي قرية بصعيد مصر ابو البركات المبارك بن ابي الفتح احمد
بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمي الملقب شرف الدين المعروف بابن المستوفي الاربلي كان
رئيسا جليل القدر كثير التواضع واسع الكرم لم يصل الي اربل احد من الفضلاء الا وبادر الي زيارته وحمل
اليه ما يليق بحاله وتقرب الي قلبه بكل طريق وخصوصا ارباب الادب فقد كانت سوقهم لديه نافقة
وكان جم الفضائل عارفا بعدة فنون منها الحديث وعلومه واسماء رجاله وجميع ما يتعلق به كان اماما
ماهرا في فنون الادب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان واشعار العرب واخبارها و
ايامها ووقائعها وامثالها وكان بارعا في علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الاوضاع المعتبرة
عندهم وجمع لاربل تاريخا في اربع مجلدات وقد احلت عليه في هذا الكتاب في مواضع عديدة وله كتاب
سماه ابي قماش جمع فيه ادابا كثيرا ونوادر وغيرها وله كتاب النظام في شرح شعر المتنبي وابي تمام في عشر
مجلدات وكتاب اثبات المحصل في نسبة ابيات المفصل في مجلدين وله غير ذلك تواليف كثيرة وسمعت منه
كثير وسمعت بقراءته علي المشايخ الواردين علي اربل شيئا كثيرا فانه كان يعتمد القراءة بنفسه وله ديوان شعر
اجاد فيه فمن شعره بيتان فضل فيهما على السمرة وهما قوله . لا تخدعنك سمرة غرارة ٠٠
ما الحسن الا للبياض وجنسه ٠٠ فالرمح يقتل بعضه من غيره ٠٠ والسيف يقتل كلّه من نفسه ٠٠
وقد اخذ هذا المعنى من قول ابي النداحسان بن نمير الكلبي المعروف بالعرقلة الدمشقي الشاعر المشهور وهو
ان كنت بالاسمر الرديني مفتتنا ٠٠ فسل عن الابيض الهندي اللبالي ٠٠ ان كان في الرمح شبر قاتل ابدا
ففي المهند شبر غير قتال ٠٠ وما نظم شرف الدين بيتيه قال بعض الادباء لو قال ان بعض الرمح
الذي يقتل به هو بين جنبي السيف كان اتم في المعني فعمل بعض المتادبين ولا اعلم هل هو شرف الدين بنفسه
ام غيره بيتين بنيه فيهما على عدم الزيادة وهما ٠٠ البيض اقتل منظرا ٠٠ وبمحتي منها الحسان ٠٠
والسمر فتكت فمن ٠٠ بعض ميضاغ لها السنان ٠٠ ومن اشعاره التي يغني بها ٠٠٠
يا ليلة حتي الصباح سهرتها ٠ قابلت فيها بدرها باخيه ٠٠ سمح الزمان لها فكانت ليلة ٠
عذب العتاب بها لمجتني ٠٠ اجبتها وامتها عن حاسد ٠٠ ماهو الا الحديث يثنيه ٠٠
ومعانقي حلو الشمائل اهيف ٠٠ جمعت ملاحة كل شيء فيه ٠٠ يختال معتدلا فان عبث الصبا ٠٠ بقوامه متعرضا
يثنيه ٠٠ نشوان يحجم في عله صبابتي ٠٠ ويردني وريمي فاستحييه ٠٠ علقت يدي بعذاره وبجيده ٠٠
هلا اقبله وذا اجنبه ٠٠ لولم تخالط زفرتي انفاسه ٠٠ كادت تمر بنا الي واشيه ٠٠ حسد الصباح الليل لما
ضمنا ٠٠ عيضا ففرق بيننا داعيه ٠٠ وله ايضا قوله ٠٠ رعي الله ليلات تقضت بقربكم ٠٠ قصارا وحياها الحيا
ومنقاها ٠٠ فما قلت ايه بعدها لمسامر ٠٠ من الناس الا قال قلبي اهاه ٠٠ وهذان البيتان يوجدان في اثناء قصيدة
لصاحبنا الحسام الحاجري المتقدم ذكره في حرف العين لكن رايت اكثر اصحابنا يقولون انهما لشرف الدين المذكور
والله اعلم وكان قد خرج من مسجد بجوار داره ليلا ليجي الي داره فوثب عليه شخص وضربه بسكين قاصدا فواده
فالتقي الضربة بعضده فجرحه جراحة متسعة فاحضر في الحال المزين وخاطها ومرهمها وقطها بالقطائف
فكتب

فكتب الي الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل يطالعه بما تم عليه بهذه الابيات وغالب ظني ان ذالك كان في سنة
ثمان عشر وستماية وذكر القضية وانا يومئذ صغير والابيات ٠٠ يا ايها الملك الذي سطوات ٠٠
من فعلها يتعجب المريخ ٠٠ ايات جودك محكم تنزيلها ٠٠ لا ناسخ فيه ولا منسوخ ٠٠٠٠
اشكوا اليك وما بليت بمثلها ٠٠ شنعاء ذكر حديثها تاريخ ٠٠ هي ليلة فيها ولدت وشاهدي
فيما ادعيت القمط والتمريخ ٠٠ وهذا معني بديع جدا وكان يقول عملت في لومي بيتين وهما
وشنا جميعا وبات العيون ٠٠ يعض بريه علينا حنق ٠٠ تود قراما لو ان تتبع ٠٠٠٠
سواد الدجي بسواد الحدق ٠٠ وكان قد وصل الي اربل بعض الشعراء وهو الشرف عبد الرحمن بن ابي
الحسين بن عيسي بن علي بن يعرب البوادجي في سنة ثمان وعشرين وستماية وشرف الدين يومئذ وزير لها
منلوما على يد شخص كان في خدمته يقال له الكمال ابن الشعار الموصلي صاحب التاريخ والمثلوم عبارة عن
دينار يقطع منه قطعة صغيرة وقد جرت عادتهم في العراق وتلك البلاد ان يفعلوا مثل هذا لانهم يتعا
مدون بالقطع الصغار ويسمونها القراضة ويتعاملون ايضا بالمثلوم وهذا كثير الوجود بايديهم في معا
ملاتهم فجاء الكمال الي ذالك الشاعر وقال له الصاحب يقول انفق الساعة هذا حتي يجهز لك شيئا فتوهم
ذالك الشاعر ان الكمال يكون قد قرض القطعة من الدينار وان شرف الدين ما سيره الا كاملا وقصد
استعلام الحال من شرف الدين فكتب اليه وهو ٠٠ يا ايها المولي الوزير ومن به
في الجود حقا تضرب الامثال ٠٠ ارسلت بدر التم عند كماله ٠٠ حسنا فوافي العيد وهو هلال
ما غاله النقصان الا انه ٠٠ بلغ الكمال كذلك الاجال ٠٠ فاعجب شرف الدين بهذا المعني و
حسن الاتفاق واجاز الشاعر واحسن اليه وكنت خرجت من اربل في سنة ست وعشرين
وستماية وشرف الدين مستوفي الديوان والاستيفا في تلك البلاد منزلة عليه وهو يتولي
الوزارة ثم بعد ذلك تولي الوزارة في المحرم سنة تسع وعشرين وستماية وشكرت سيرته
فيها ولم يزل عليها الي ان مات مظفر الدين في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الكاف رحمه
الله تعالى ٠ واخذ الامام المستنصر اربل في منتصف شوال من السنة المذكورة فبطل شرف
الدين وقعد في بيته والناس يلزمونه لخدمته علي ما بلغني ومكث كذلك الي ان اخذ التتر
مدينة اربل في سابع عشر شوال سنة اربع وثلثين وستماية وجري عليها وعلي اهلها
ما قد اشتهر فكان شرف الدين المذكور في جملة من عصم بالقلعة وسلم منهم ولما انتزح
التتر على القلعة انتقل الي الموصل واقام بها في حرمة وافرة وله راتب يصل اليه وكان عنده
من الكتب النفيسة شيء كثير ولم يزل علي ذلك حتي توفي بالموصل يوم الاحد لخمس خلون من
المحرم سنة سبع وثلاثين وستماية ودفن في المقبرة السابلة خارج باب الخصاصة ومولده
في النصف من شوال سنة اربع وستين وخمسماية بقلعة اربل وهو من بيت كبير كان فيه
جماعة من الرؤسا الادبا وتولي الاستيفا باربل والده وعمه صفي الدين ابو الحسن علي
بن المبارك وكان عمه المذكور فاضلا وهو الذي نقل نصيحة الملوك تصنيف حجة الاسلام
ابي حامد الغزالي من اللغة الفارسية الي العربية لان الغزالي لم يصنفها الا بالفارسية
وقد ذكر ذلك في تاريخه شرف الدين وكنت اسمع ذلك ايضا عنه ايام كنت في تلك
البلاد وكان ذلك مشهورا بين الناس ولما مات شرف الدين رثاه صاحبنا الشمس ابو

Copyright © King Saud University